مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 28 عدد: 4 (رت 78) السنة: 2024

تداخل أغراض التشبيه في العربية

Overlapping of the Purposes of Simile in Arabic Language

عبد القادر بوشنه [1]
مخبر البحث في تعليمية اللغات ، المدرسة العليا للأساتذة – سطيف، الجزائر
a.bouchena@ens-setif.dz

تاريخ الوصول 2024/02/22 القبول 2024/04/07 النشر على الخط 2024/06/15
Received 22/02/2024 Accepted 07/04/2024 Published online 15/06/2024

ملخص:

تأتي أهمية هذا البحث من حيث تَطرُّقه إلى أغراض التشبيه التي يَدْرُسُها طلبة اللغة العربية في الجامعات، والتي قد يُسألون عنها في الامتحانات، وقد تَمَّ عَرْضُها وِفق مَنهجٍ وصفيٍّ من أجل الإجابة عن إشكالية مكوّنة من تساؤلات عديدة منها: ما هي أغراض التشبيه في العربية؟ وهل يمكن أن تتداخل فيما بينها؟ وهل كلُّ غرضٍ منها مُستقِلٌّ بحيث لا يختلط مع غيره؟ وهل يمكن إضافة أغراض أخرى للتشبيه غير تلك المعروفة في كتب البلاغة العربية؟

وبعد النظر في الأمثلة التي وضعها المؤلفون تحت كل غرض تَبَيَّنَ أن هذه الأغراض يمكن أن تتداخل فيما بينها، والعبارة التي فيها تشبيه قد تفيد في بيان غرض واحد أو غرضين أو أكثر. والذي يحدد الغرض ليس هو الأديب وحده، فالمتلقي – قارئاً أو مستمعاً – يمكنه كذلك تحديد فوائد التشبيه.

الكلمات المفتاحية: بلاغة عربية؛ أغراض التشبيه؛ فوائد التشبيه؛ أمثلة؛ تداخل.

Abstract:

The significance of our research lies in the fact that it addresses the purposes of simile taught to Arabic language students at universities, which could be part of exam questions. They were studied following a descriptive methodology in order to answer a number of questions. What are the purposes of simile in Arabic, and do they overlap? Is there a clear-cut distinction between them? Is it possible to add other purposes other than those included in the books of Arabic rhetoric?

After examining the examples used by the researchers for each one, we found that these purposes may overlap between each other, and that the phrase containing a simile may be useful for clarifying one particular purpose or more. The writer alone cannot determine the purpose of a simile; the recipient (whether a reader or a listener) can also determine its benefits.

Keywords: Arabic rhetoric; purposes of simile; benefits of simile; examples; overlap**.**

[1] المؤلّف المراسل: **عبد القادر بوشنه** البريد الإلكتروني: **a.bouchena@ens-setif.dz**

1. مقدمة:

يُعتبر التشبيه من أهم الموضوعات البلاغية في علم البيان، بل له الصدارة في تناولها وتحليلها، ولقد دَأَبَ المؤلفون في البيان لدى تَطرُّقهم لموضوع التشبيه على تعريفه وتحديد أركانه وأقسامه وأنواعه وأغراضه، ونُريد في هذا البحث أن نُسَلِّط الضوء على قضية الأغراض؛ ذلك أنَّ التشبيه لا يأتي إلا لغرضٍ يُريده المستخدم لهذا الأسلوب، ولقد ساقَ البلاغيون لتلك الأغراض أمثلة عديدة، والإشكالية التي تُطْرَحُ حَوْلها وحول أمثلتها مُكوَّنة من تساؤلات عدة أهمها: ما هي أغراض في العربية؟ وهل هناك تداخل بينها؟ أم أنها مستقلة عن بعضها بحيث لا يمكن لأحدها أن يَلْتَبِسَ بالآخر؟ وهل يمكن إضافة أغراض أخرى غير التي ذكرها البلاغيون القدماء

هذه الإشكالية تثير الفرضيات الآتية:

- ربما يستقل كل غرض من أغراض التشبيه بحيث لا يتداخل مع غيره من الأغراض.
- قد يكون هناك تداخل بين بعض أغراض التشبيه.
- لعل التداخل وارد بين جميع أغراض التشبيه.
- لعله من الممكن أن تُضاف أغراض أخرى للتشبيه غير ما سَرَدَهُ البلاغيون في كُتُبِهِم.

والأهداف المتوخّاة من التطرق لهذه الدراسة هي:

- بيان إمكانية التداخل بين أغراض التشبيه في العربية من عَدَمِها.
- معرفة مدى دِقَّة البلاغيين في تحديد الغرض من التشبيه.
- النظر في اتفاق البلاغيين واختلافهم حول أغراض التشبيه عددها وأمثلتها.
- الاطلاع على جانب من جوانب مُرونة البلاغة العربية وقابلية أمثلتها لتنوع الآراء فيها.

هذا ما سَنَعْرِضُ له بنوع من التفصيل في هذا البحث مُتَّخذين من الوصف منهجًا للدراسة مع الاستعانة بالموازنة بين أمثلة المؤلفين في بعض المواضع.

2. مفهوم التشبيه:

التشبيه له معان لغوية واصطلاحية، وهي لا تختلف عن بعضها كثيرًا.

1.2. التشبيه لغة:

التشبيه على وزن (التفعيل)؛ مصدر الفعل شَبَّه يُشَبِّهُ، بمعنى مَثَّل شيئاً بشيء آخر، فالتشابه هو التشاكل والتماثل في اللون والوصف.[1] أو فيما يدخل في معنييهما.

[1] ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1399هـ/1979م، ج3، ص 243.

2.2. التشبيه اصطلاحاً: هو الدلالة على اشتراك شيئين في صفة ما، كصفة الشجاعة في الأسد، والنور في الشمس،[1] ويعرف كذلك بأنه إلحاق أمر بأمر في صفة أو صفات، باستعمال أداة من أدوات التشبيه الظاهرة أو الخَفِيّة؛ فالأدوات قد تذكر في التركيب وقد تحذف منه، وذلك لأنه يُمكنُ الاستغناء عنها، ويُفهم التشبيه من سِياقِ الكلامِ الشَّفهيّ أو المكتوب.

ويُعَدُّ التشبيه من أقدم صُوَرِ البيان، وأقْرَبها إلى فَهْمِ المتلقي، وهو نوع من أنواع التعبير الأنيقِ، تَميلُ النفوسُ إلى استخدامه بالفطرةِ حينَ تُحرِّكها الدَّوافعُ إليهِ،[2] فتُجريه على دَرَجاتٍ مِن الوُضوحِ.

واستخدام التشبيه ليس مقتصراً على الأدباء فحَسْب، بل يستخدمه غير الأدباء كذلك، فهو أسهل الطرق البيانية التي يمكن تقريب المعنى بها.

والتشبيه عادة لا يأتي إلا لغرض يريده الناطق به، سواء كان أديبا أو غير أديب، فهو لا يَرِدُ في الحديث اعتباطاً. وغالبا ما يستخدمه الأناس العاديون من أجل الوصف؛ لبيان شكل شيء ما أو حجمه أو طوله أو كمِّيَّته أو جودته أو رداءته أو أهميته أو تفاهته...إلخ. أما الأدباء فيستخدمون التشبيه لأغراض أرقى من ذلك، وقد تحدَّث البلاغيون عنها وساقوا لها امثلة متنوعة.

3. أغراض التشبيه:

للتشبيه أغراض متعددة ربطها أكثر البلاغيين بالمشَبَّهِ وجعلها خاصة به، أمّا بعضهم فقد ذكر أنَّ الأغراض يمكن أن تتعلق بالمشبه به أيضا. وما يَهُمُّنا في هذا البحث هي الأغراض المتعلقة بالمشبَّه، فهي الأشهر والأكثر وروداً في كتب البلاغة والبيان.

إنَّ المطالع لموضوع التشبيه في المصادر والمراجع المتنوعة يجد أن المؤلفين قد اختلفوا في عدد الأغراض المذكورة للتشبيه ذات الصلة بالمشبَّه؛ فمنهم من يذكر للتشبيه ثلاثة أغراض، ومنهم من يذكر له ستة ومنهم من يذكر سبعة ومنهم من يذكر ثمانية.

فمن الذين ذكروا للتشبيه ثلاثة أغراض "كرم البستاني"[3] – رغم قوله إن أغراض التشبيه كثيرة، فهي على سبيل المثال لا على سبيل الحصر – وهي ما يلي:[4]

1.3. بيان حال المشبه: كتشبيه العِظام في ليونتها بالخيزران.

2.3. تحسين المشبه: كتشبيه السوداء اللون بمقلة الغزال.

3.3. تهجين المشبه: كتشبيه مُحدِّث قبيح الوجه بقرد يقهقه.

ومن الذين ذكروا للتشبيه سِتة أغراض: "الخطيب القزويني" (ت 739هـ) في كتابه (الإيضاح في علوم البلاغة) و"عبد العزيز عتيق" في كتابه (البيان)، و"عبده عبد العزيز قلقيلة" في كتابه (البلاغة الاصطلاحية). فقد أشاروا إلى الغرض الأول – وهو بيان حال المشبه – ومثلوا له بتشبيه ثَوْبٍ بِثَوْبٍ آخر في السَّوادِ إذا كان لون الثوب المشَبَّه به معلومًا.

---

[1] الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، د ط، دار الفضيلة، د ط، د ت، ص 52.

[2] طالب محمد إسماعيل، علوم البلاغة التطبيقية، دار كنوز المعرفة، عمان – الأردن، ط1، 1433هـ/2012م، ص 231.

[3] وهو كرم بن سليمان بن حسن البستاني، ولد سنة 1864م، أديب لبناني، اخ بطرس البستاني، كان مُلِمًّا باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والتركية، من مؤلَّفاته (أساطير شرقية، والمجاني الحديثة)، توفي سنة 1966م.

[4] ينظر: كرم البستاني، البيان، مكتبة صادر، بيروت، د ط، د ت، ص 60.

ومثلوا له كذلك بقول "النابغة الذبياني":

بِأَنَّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَواكِبُ إذا طَلَعَت لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ[1]

وقول "ابن الرومي":

حِبْرُ أَبِي حَفْص لُعابُ الليل كَأَنَّهُ أَلْوانُ دُهْمِ الخَيْلِ[2]

فالنابغة الذبياني أراد أن يبين حال ممدوحه بالنسبة لغيره من الملوك؛ فشبَّهَ نِسبتهُ إليهم بِنِسبة الشمس إلى الكواكب، إذ الكواكب أقلّ شأنًا من الشَّمس. أمّا ابن الرومي فقد بَيَّن لَوْن الحِبر – وهو السواد – حينما شبهه بِلُعاب الليل. ونحن إذا شبّهنا الماكِرَ بالثَّعْلَبِ، والصَّلْبَ بالصَّخْرِ، والثابِتَ بالجَبَلِ، والبريءَ الذي لا يؤذي أَحَدًا بالحَمَلِ، والنَّشيطَ بالنَّحلة أو النَّمْلَةِ، والحُلْوَ بالسُّكَّرِ، فإننا نريد بذلك نُعْلِمَ المتلَقّي بحالِ المشبَّه إذ لم نَقْرِنْهُ بالمشبه به إلاّ من أجل ذلك الوصف المعروف به.

ويؤكّد "عبده عبد العزيز قلقيلة" أَنَّه من اللازم أن يَشتَهِرَ المشبَّه به بِوَجْهِ الشَّبَهِ لكي ينجح التشبيه في غرض بيان حال المشَبَّه، فلَوْ لم يكن وَجْهُ الشبه مُشتَهِراً في المشبه به لَمَا أفاد التشبيه بياناً لحال المشبه، ولكان من قبيل تشبيه المجهول بالمجهول وسَكْبِ الحليب في ماعون مثقوب.[3]

وأشاروا إلى الغرض الثاني – وهو تحسين المشبه – ومثلوا له بذات المثال المذكور سابقاً في تشبيه الجارية السوداء بمُقلة الظبي، والمأخوذ من قول الشاعر:

سَوْداءُ واضِحَةُ الجَبِيْنِ كَمُقْلَةِ الظَّبْيِ الغَرِيْر[4]

وبقول "الشريف الرضي" (ت 1015م) من الغزل:

أُحِبُّك يا لَوْنَ الشَّباب لأنَّني رَأيْتُكُما في القَلْبِ والعَينِ تَوأما[5]

سَكَنْتِ سَوادَ القلب إذْ كُنْتِ شِبْهَهُ فَلَمْ أَدْرِ مِن عِزٍّ مَن القَلْبُ مِنْكُما

وقول "أبي الحسن الأنباري" (ت 985م) في رثاء مصلوب:

مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ احتِفالًا كَمَدِّهِما إليْهم بالهِبات[6]

وقول "الفرزدق" (ت 110هـ) في الشيب:

تَبارِيْقُ شَيْبٍ في الشَّبابِ لَوامِع وما حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيْهِ نُجُوْمُ[7]

---

[1] النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، د ت، ص47.

[2] ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط3، 1423هـ/2002م، ج3، ص 95.

[3] ينظر: عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط4، 2000م، ص 56.

[4] وَرَدَ هذا البيت في كثير من كتب البلاغة غير منسوب إلى شاعر مُعَيَّنٍ.

[5] الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، ج2، ص 276.

[6] الثعالبي أبو منصور، يتيمة الدهر، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1403/1983، ج2، ص 439.

[7] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1377هـ/1958م، ص 493.

يرى بعض البلاغيين أنَّ غرض تحسين المشبه يتحققُ عن طريق التشبيه إذا لم يكن المشبه – في العادة – مستحسناً عند الناس ظاهرُ حاله، فإلحاقه بمشبه به حسن يجعل النفس تميل إليه بعد نفور.[1]

فلو عُدنا إلى الأبيات التي تُشَبَّهُ فيها الجارية السوداء بمُقلَة الظبي ولون الشباب وحَبَّة القلب لتَبَيَّنَ لنا أن الشعراء أرادوا تحسين ما لم يستحسنه كثير من العرب في الجَواري؛ وهو سَواد البشرة. ولو نظرنا في بيت "أبي الحسن الأنباري" لوجدنا فيه تحسيناً لصورة المصلوب الرهيبة إذ شُبِّهت بصورة الباسط يديه بالهدايا. ولو تأملنا قول "الفرزدق" لرأينا فيه تزييناً للشيب – وهو في الأصل مكروه – إذ شبهه بالنجوم في ظلام الليل.

والحَقُّ أنَّ هذا الغرض لا يقتصرُ على تحسين الأشياء المكروهة، بل يستخدم كذلك للأشياء الحَسَنة والتي لم يسبق للمتلقي تجريب لها أو معرفة بها. هذا لكي لا يظنّ أحد أن التحسين لا يؤتى به إلا لِما هو مكروه في الأصل؛ فالله تعالى في القرآن شَبَّه الحُور العِين بالياقوت والمرجان، وفي ذلك بيانٌ لحالِهِنّ من الجَمال وكذلك فيه تزيينٌ لَهُنَّ، وذلك مما يزيد المسلم شوقًا إلى الجنة ونعيمها. فهذا التشبيه لم يأت لتحسين ما ليس مُستحسَن.

وأشاروا إلى الغرض الثالث – وهو تقبيح المشبه – ومَثَّلوا له بما سبق ذِكره من تشبيه المحَدِّث قبيح الوجه بقِردٍ يُقهقه، وهو مأخوذ من قول "أبي الطيب المتنبي" (ت 354هـ):

وإذا أَشـــارَ مُحَـدِّثـاً فَكَـــأنَّـهُ قِـردٌ يُقَـهْـقِـهُ أو عَـجُـوْزٌ تَلْطُـمُ[2]

ومثلوا له كذلك بقول الشاعر يهجو زوجته:

وتَفْتَحُ – لا كانَت – فَمَاً لَوْ رَأَيْتَهُ تَوَهَّمْتَهُ بَابـاً مِن النَّارِ يُفْتَحُ[3]

ويتحقق غرض تقبيح المشبَّه من خلال التشبيه إذا كان المشبه مما يظنُّ أنه حَسَن، فيكون إلحاقُهُ بمشبهٍ به قبيح، لكي تَسُوء صورته عند المتلقي. وهو ما أثبته "المتنبي" حينما شبَّه المحدِّث بالقرد الذي يقهقه والعجوز التي تلطم وجهها أو تُجَمِّلُهُ بِطَلْيٍ فَمِها مِن داخِله بلون أحمر.[4] وما أثبته الشاعر الذي قَبَّح زوجته حين شَبه فمها بباب النار. يُفْهَمُ من ذلك أنَّ الأشياء التي تكون معروفةً بقُبحها لا يفيد التشبيه بيانًا لحالها، بل إن شُبِّهَت بما يُماثلها يكون ذلك مفيدًا بشيءٍ آخر غير بيان الحالِ، كأن تُشَبَّهَ المزبَلَةُ في رائحتها بالجيفةِ، إذ المعلوم أنَّ المزبلة كريهة الرائحة.

ومن الأدباء من ذهب إلى أَبْعَدَ من ذلك فَذَمَّ ما هو ممدوح عند الناس، بل ما يضربُ به المثل في الحُسن وهو "ابن المعتز" (ت 296هـ) عندما هجا القَمَر فَشَبَّهَهُ بلون الأبرص؛ وهذا – عند "عبد القاهر الجرجاني" (471هـ) من عجيب ما اتفق في باب البيان من القدرة على تقبيح المستحسن.[5]

وتطرقوا إلى أغراض أخرى للتشبيه وهي:

---

[1] ينظر: عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، ص 57.

[2] أبو الطيب المتنبّي، ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 571.

[3] وَرَدَ هذا البيت في كتب البلاغة وغيرها غير منسوب إلى شاعر معيَّن.

[4] ينظر: جمال قاسم إبراهيم، البلاغة الميسرة، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1433هـ/2012م، ص 155.

[5] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المدني، جدة، د ط، د ت، ص 346/345.

4.3. بيان إمكان وجود المشبه: وذلك إذا كان حصول المشبَّه أمراً غريباً عند الناس أو مُستبعَداً،[1] فيأتي التشبيه لبيان إمكان وجوده أو حدوثه فتزول عنه الغرابة، ويسلِّم العقل بوجوده، ومن أمثلته قول "المتنبي" يمدحُ سيف الدولة:

فَإِنْ تَفُقِ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزالِ[2]

وقوله:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلُ الهَوانُ عَلَيْهِ مَا لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلامُ[3]

وقول "البحتري" (ت 280هـ):

دانٍ على أَيْدِ العُفاةِ وشاسِعٌ عَنْ كُلِّ نِدٍّ في العُلا وضَرِيْبِ[4]

كالبَدْرِ أَفْرَطَ في العُلُوِّ وضَوْؤهُ لِلعُصْبَةِ السارِيْنَ جِدُّ قَرِيْبِ

فالمتنبي قد بَيَّن إمكان تفوق ممدوحه على الأنام واختلافه عنهم – رغم كونه واحداً منهم – إذ شبهه بالمسك الناشئ من دم الغزال وهو يختلف اختلافًا بَيِّنا عن الدَّم. ففَضْلُ مَمدوحه على الناس كفضل المِسْكِ على دم الغزال. وبهذا التشبيه زالت غَرابةُ تَمَيُّز الشيء عن أصله وتَفَوُّقِهِ عليه. وفي البيت الآخر: بَيَّنَ إمكان سُهولة الهوان على من يَقْبَل بالهوان وعدم اكتراثه وتأثره به حيث شَبَّه ذلك بالجُرح الذي لا يُؤَثِّرُ في الميت.

وفي قول البُحتري ما يُبَيِّنُ إمكان اجتماعَ وَصْفَينِ متناقِضَيْنِ في شَيء واحد وفي الوقت ذاته؛ إذ وَصَفَ مَمدوحَهُ بالعُلوّ والدُّنُو كحالِ البَدْرِ الذي هو بَعيدٌ عن الناسِ لا يلمسون جِرمَهُ ولا يَصِلون إليه، ونُورُه مِنهُم قَريبٌ يسيرون فيه ويحيط بهم.

كذلك إذا قُلنا عن شَخْصٍ ما: إنّهُ المؤذي النافِع، فاستغربَ هذا القول، وقِيلَ: كيف يكون المؤذي نافعًا؟! فقلنا: هو كحُقنة الدَّواء، نكون قد أَزَلنا الغرابة والعَجَبَ، فمعلومُ أنَّ حُقنة الدواء نافعة لِمن تُوصَف لَهُ مع أنها تؤذي بالألم الذي تُسبِّبُهُ حِينَ غَرزِ الإبرةِ في الجَسَد.

5.3. بيان مقدار حال المشبه: من حيث القوة والضعف والزيادة والنقصان، وذلك إذا كانت حال المشبه أو صفته معروفة قبل التشبيه، فيأتي التشبيه لكي يُبيّن مقدار الحال أو الصفة.[5] ومن أمثلته قول "مجنون ليلى" (ت 68هـ):

فأصبَحْتُ مِن لَيْلَى الغَداةَ كَقابِضٍ عَلَى الماءِ خانَتْهُ فُـرُوجُ الأَصابِعِ[6]

وقول "عنترة شداد" (ت 608م) في نوقٍ سُودٍ:

---

[1] ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، د ط، 1434هـ / 2013م، ص 231.

[2] ديوان المتنبّي، ص 268.

[3] المصدر نفسه، ص 164.

[4] البحتري، ديوان البحتري، حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط3، د ت، مجل1، ص 249/248

[5] ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان، بيروت، دار النهضة العربية، د ط، 1985م، ص 107. وعبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، ص 56.

[6] وقد أتى الجرجاني بهذا البيت مثالاً على الضرب من التشبيه الذي لا يكون فيه المعنى المُمَثَّلُ من الغرابة والنُّدرةِ بحيث يحتاج إلى حجة لإثبات دعواه. ينظر: أسرار البلاغة، دار المدني، ص 124.

فِيْها اثْنَتــانِ وأَرْبَعُــونَ حَلُــوْبَةً سُــوْداً كَخــافِيَةِ الغُــرابِ الأَسْحَمِ[1]

وقول "المتنبي" في حُمرة عَيْنَي أسدٍ:

مــا قُوْبِلَــتْ عَيْنــاهُ إلا ظُنَّتا تَحْــتَ الدُّجى نــارَ الفَرِيْق حُلُولا[2]

وقول "بشار بن بُرد" (ت 186هـ):

إذا قــامَــتْ لِسُــبْحــتِــهــا تَثَنَّت كَــأَنَّ عِـظــامَــهــا مِـنْ خَـيْــزُرانِ[3]

فحرمان "قيس" من "ليلى" معلوم لَدى مَن يعْرِف قِصّته، لكنه أراد أن يُبَيِّنَ مقداره حيث شَبَّهَ حالهُ بِحالِ القابض على الماء بيديه فهو يتَسَلَّلُ مِن بَينِ أصابعهِ. و"عبد القاهر الجرجاني" (ت 471هـ) يَشرح حال "قَيْس" فيَقولُ: إنَّه قد بَلَغَ في بَوارِ سَعْيِهِ في الوُصولِ إليها وأنْ يُمتِّع بها أَقصى الغاياتِ؛ حَتّى لَمْ يَحظَ منها بِما قَلَّ ولا بِما كثُرَ.[4]

و"عنترة بن شدّاد" قد بَيَّن مِقدار سَواد النُّوق إذ شبهها بخافية الغُراب؛ والخافية واحدة الخوافي، وهي الرِّيشُ الذي يختفي حينما يَضُمُّ الطائر جناحه، ومعلوم أن ريش الغُرابِ شَديدُ السَّوادِ كما بَيَّن المتنبي مقدار حُمرة عَيْنَي الأسد لِمن يَراهما في الليل عن بُعد إذا شَبَّههما بنارٍ لفَريقٍ من الناسِ حُلولٍ مُقيمينَ،[5] وذلك مما يزيْدُ صورة الليثِ تهويلًا وإرعابًا.

يرى "عبده عبد العزيز قلقيلة" أن قول "بشار" (تَثَنَّت) قد أفاد الوَصْفَ المشتركَ بين المشبه والمشبه به – وهو الليونَة – ثم جاء تشبيه عظامها بالخيزران لكي يفيد بيان مقدار هذا الوصف ودرجته؛[6] فالخيزران قَصَبٌ طويلٌ يَسْهُلُ لَيُّهُ وثَنْيُهُ.

كذلك إذا قلنا عن شرابٍ ما: إنَّه مُرٌّ كالحنظل، فهذا يفيد بيان مقدار مرارة طَعمه. ولو قلنا عن شيء ما: إنَّهُ سَريعُ الالتِهابِ كالغازِ؛ فهذا يفيد بيان مقدار سرعة الالتهاب. ولو قلنا عن مُتحَرِّكٍ ما: إنَّه بطيءٌ كالسُّلحفاة، فإنَّ هذا يفيد بيان مقدارِ بُطءِ الحركَةِ. ولو قلنا عن كُتْلَةٍ من شيء ما: إنها خفيفةٌ كالقُطْنِ، فهذا يُفيد بيان مقدار خِفَّةِ الوَزْنِ.

من الأمثلة السابقة نلمس فاعلية التشبيه في بيان مقادير الأشياء، ولو على وجه التقريب حين يتعذَّر أحيانًا تحديد المقدار أو الكَمِّ بدقّة، هذا مع عِلْمِنا أن التشبيه قد يكون مُبالغًا فيه في كثير من الحالات.

6.3. تقرير حال المشبه في نفس السامع: أو القارئ، ويتجلّى هذا الغرض عند تشبيه الأمور المعنوية بالأشياء الحسية، فالمحسوس يسهل إدراكه وملاحظته وعند إلحاق الأمر المعنويّ به يتَّضح ذلك المعنوي وإن كان بعيدًا عن النظر. ويتجلى هذا الغرض في حال إسناد شيء إلى المشبه يحتاج إلى التأكيد أو التوضيح بالمثال.[7] ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: 171]

---

[1] عنترة، ديوان عنتر، مطبعة الآداب، بيروت، 1893م، ص 80.

[2] ديوان المتنبّي، ص 145.

[3] بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، تح: السيد بدر الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت–لبنان، د ط، 1981م، ص 235.

[4] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 125. والخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 232/231.

[5] ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص 107.

[6] ينظر: البلاغة الاصطلاحية، ص 56.

[7] عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص 108.

وقول الشاعر في استحالة عودة القلوب إلى ما كانت عليه بعد التنافر:

إنَّ القُلُـوْبَ إذا تَنـافَـرَ وِدُّهَا مِثْلُ الزُّجاجةِ كَسْرُها لا يُشْعَبُ[1]

في الآية الكريمة من سورة الأعراف بَيَّنَ الله تعالى ما لم تَجْرِ به العادة؛ وهو اقتلاع الجَبَل ورَفْعِهِ فوق الرؤوس، بما جَرَت به العادة وهو ارتفاع الغَيْمِ. (الصابوني، 1981) والشاعر شَبَّه أمرًا معنويًّا وهو تنافُر القُلوب وتباغُضها واختلافها بشيءٍ حِسيّ وهو الزجاج المكسّر والذي لا يمكن جمع شظاياه وإعادتها إلى وضعها السليم الملتحِم بعدها تَفَرُّقِها. وفي كلا التشبيهين تقريرٌ لحال المشبه.

يمكن أن نضع أمثلة أخرى للتشبيه الذي غرضه تقرير حال المشبَّه، فنقول:

– الذكريات الجميلة كالنسيم العابر. والأفكار السيئة مثل الأصوات المزعجة.

– تذهب نَضرة الشباب كما تَذبُلُ الورودُ.

– لِقاءُ الأحبَّةِ بَعدَ الغياب كعَودَة الصَّحَّةِ بعدَ المَرَضِ.

ومن المؤلفين الذين ذكروا للتشبيه سبعة أغراض: "أحمد مصطفى المراغي" (ت 1952م) في كتابه (علوم البلاغة)، و"فضل حسن عباس" (ت 2011م) في كتابه (البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع)، و"بسيوني عبد الفتاح فيود" (ت 1950م) في كتابه (علم البيان). فقد تطرقوا إلى الأغراض الستة السابقة إضافة إلى غَرَضٍ سابعٍ هو: (استطراف المشبَّه).

7.3. استطراف المشبه: وجَعْله مُسْتَحدَثًا بديعًا لإظهاره في صورة ما يَمْتَنِعُ حُدُوثه عادةً، أو ما هو بعيد عنه في النوع بحيث لا يخطر في البال عقد المشابهة بينهما، فيبدو المشبه عندئذٍ في صورة الشيء العجيب المثير لكوامن الإعجاب والاستحسان في النفس.[2]

ومن أمثلته قول "ابن معصوم" (ت 1709م) في تشبيه الجَمْر:

انظُرْ إلى الفَحْمِ فِيهِ الجَمْرُ مُتَّقِدُ كَأَنَّهُ بَحْرُ مِسْكٍ مَوْجُهُ الذَّهَبُ[3]

وقول "عدي بن الرقاع" (ت 714م) في تشبيه قَرْن ظبية:

تُزْجِي أَغَـنَّ كَـأَنَّ إِبْـرَةَ رَوْقِـهِ قَلَمٌ أَصـابَ مِـن الـدَّواةِ مِـدَادَها[4]

وقول "ابن الرومي" في تشبيه بنفسجة:

ولازَوَرْدِيَّـــةٍ تَـزْهُـو بِـزُرْقَـتِـهـا وَسْطَ الرِّيـاضِ على خُمْـرِ اليَواقِيتِ[5]

كَـأَنَّها وضِعافُ القُضْبِ تَحْمِلُها أَوائِـلُ النَّـارِ في أَطْـرافِ كِبْـرِيْتِ

فتشبيه الفحم المتَّقِدِ ببحر من المسك مَوْجُهُ الذهَب من التشبيهات الممتنعة؛ إذ لا وجود للمشبه به في الحقيقة.[1] وتشبيه قَرْنِ الظَّبْيَة بالقَلَمِ الملَوَّنِ طَرَفُهُ بِمِداد الدَّواة من التشبيهات العميقة التي لا تكاد تخطر ببال العامَّة من الناس. كما هو الحال بالنسبة لتشبيه

[1] لا يُشعَبُ: أي لا يُصْلَحُ. وهذا البيت ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله، وهناك من ينسبه إلى غيره.

[2] ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، مؤسسة المختار، القاهرة، ط3، 1432هـ / 2011م، ص 110.

[3] ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، ط1، 1389/1969، ج5، ص 217.

[4] عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1410هـ/1990م، ص 35.

[5] ديوان ابن الرومي، ج1، ص 276. ويُروى: (كَأَنَّها فَوْقَ قَاماتٍ ضَعُفْنَ بها).

اللازَوَرْدِيَّة – وهي أزهارُ البَنَفْسَجِ – على سِيْقانها بالنار في أطرافِ الكبريتِ. فذلك يجعل النفوس في حال من الاندهاش والإعجاب والتأمُّل في تلك التشبيهات، والتي تدُلّ على الخيال الواسع لأصحابها، الذين يستطيعون استحضار الصور البعيدة، وإبرازَ الملامِحِ المشتَرَكَةِ بَيْنها. وتقليدًا لهؤلاء يمكن أن نضع تشبيهًا في هذا الغَرَضِ فنقول: يَزدَحِمُ المشجِّعون في الملاعب ازدحام الأفكار في رؤوسِ أهل المذاهِبِ.

غير أنَّ "عبده عبد العزيز قلقيلة" لا يَعتبر الاستطراف غرضًا من أغراض التشبيه؛ إذ يقول: «والحق أنَّ الطرافة الموجودة في هذه التشبيهات وأمثالها ليست غرضًا من أغراض التشبيه، بل هي وَصْف له، وهو وَصْفٌ يطول أيَّ تشبيهٍ في أيّ غَرَضٍ، وذلك إذا كان طريفًا حقًّا».[2] ولعلَّ في رَأيِهِ هذا جانِبًا مُهمًّا من الصواب، فالاستطراف قد يَذُوبُ في أيّ غرض من الأغراض الأخرى، كما نرى في التشبيهات الواردة في الأبيات السابقة فهي تفيدُ بيانًا لحال تلك المشَبّهات وتفيدُ تحسينًا لها وتقريرًا لأحوالها.

هذا، وقد جَعَلَ "السيد أحمد الهاشمي" أغراضَ التشبيه ثَمانيةً في كتابه (جواهر البلاغة)، وما ذلك إلا لأنَّهُ يُفَرّق بين (بيان إمكان حال المشبه) وبين (بيان إمكان وجود المشبه)، فيمثل لبيان إمكان الحال بقول "ابن الرومي" في تشبيه النظر والإعراض بوقْع السّهام:

وَيْلاهُ إن نَظَرَتْ وإنْ هِيَ أَعْرَضَتْ وَقْعُ السِّهـامِ ونَزْعُـهُـنَّ أَلِيْـمُ[3]

ويمثل لبيان إمكان الوجود بقول المتنبي السابق في الغرض رقم (4): (فإنْ تَفُقِ الأَنامَ....). لكن مُعظم المؤلفين يجعل بيان إمكان وجود المشبَّهِ وبيان إمكان حالِهِ غَرَضًا واحدًا، فلا يفرقون بينهما.

4. التداخل بين أغراض التشبيه: إذا نظرنا في الأمثلة التي وضعها المؤلفون لأغراض التشبيه، أو في غيرها من التشبيهات التي وضعها الأدباء وجدنا أن التداخل بين الأغراض أمر وارد، فقد يفيد التشبيه غرضاً واحداً، وقد يفيد أكثر من غرض واحدٍ، فتكون الأغراض متعددة.

1.4. ثبوت بيان الحال في جميع الأغراض:

عَلِمنا أنَّ بيان حال المشبه هو أول أغراض التشبيه، وأن الأغراض الأخرى تأتي عندما يكون وَصْفُ المشبَّهِ معلوماً فتفيد أمراً آخر يزيد على بيان الحال أو الصفة. وعلى هذا يكون بيان الحال أمراً ثابتاً في جميع التشبيهات على الإجمال وما زاد عليه يكون على سبيل التدقيق والتفصيل.

فلو طلبنا تحديد الغرض من التشبيه في النصوص الآتية:

- قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: 41]
- وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: 77]
- وقول "امرئ القيس" (ت 540م) في وصف الخيل:

---

[1] يرى "عبده عبد العزيز قلقيلة" أنَّ هذا التشبيه سخيف رغم أنه صحيح.

[2] ينظر: البلاغة الاصطلاحية، ص 40.

[3] ديوان ابن الرومي، ج3، ص 352.

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدبِـرٍ مَعاً كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السيْلُ مِن عَلِ[1]

– وقول "ابن الرومي" يصف جارية سوداء:

أَكْسَبَهَا الحُبَّ أنَّها صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ القُلُوبِ والحَدَقِ[2]

– وقول الآخر في وصف صوتِ مُغَنٍّ:

وإنْ شَدا فَصَوتُهُ صَوْتُ دَجاجٍ يُمسَكُ[3]

فكانت الإجابة أن الغرض من جميع تلك التشبيهات هو بيان حال المشبه. لكانت الإجابة صحيحة، لكنها غير دقيقة. لأن الآية التي يشبّه الله تعالى فيها المشركين في اتخاذهم من دُونه أولياء لا ينفعونهم ولا يضرونهم بالعنكبوت التي تتخذ بيتًا واهيًا لا يُغني عنها شيئًا،[4] هي آية تفيد تقرير حال المشبه في نفس المتلقي.[5] والآية التي يُشَبِّهُ الله تعالى فيها سُرعة مَجي الساعة بالنظرة السريعة بطَرف العين،[6] فيها بيان لمقدار سُرعة المشبه.[7] وقول "امرئ القيس" أفاد بيانًا لإمكان حال المشَبَّه، لأنه قد أسند للمُشَبَّه وَصْفًا متناقضًا؛ وهو والكَرُّ والفَرُّ والإقبال والإدبار في ذات الوقت، وهو أمر غريبٌ مُستَبْعَد، ثم أزال عنه غرابة هذا الوصف حين شَبَّهه بالصَّخرِ الكبير الذي يَنحدِرُ من أعلى الجَبَلِ بِسُرعةٍ هائلةٍ واستدارةٍ دائمةٍ تَجعَلُهُ مُقبِلًا مُدْبِراً في الوَقتِ نَفْسِهِ.[8] والبيت الذي تُشَبَّه فيه الجارية السوداء بحَبِّ القلوب والحَدَق، يفيد تزيين وتحسين المشبَّهة؛ لأن السواد في الجَواري غير مرغوب فيه – كما أسلفنا –. وعلى العكس من ذلك فإنَّ البيت الذي فيه تشبيه لصوت المغَنِّي بصوت دجاج ممسوك به، يُفيدُ تقبيحًا لذلك الصوت الذي يحسبه صاحبه حَسَنا فهو يتغنّى به، والدّجاج حينَ يُمسَكُ بِهِ يُصدِرُ صَوتًا مُزعِجًا.

إذن لا يمكن اعتبار إجابة الطالب خاطئةً إذا قالَ: إنَّ الغَرَضَ من التشبيه هو بيانُ الحال، لكن يمكن اعتبارها إجابةً ناقِصةً إذا كان التشبيه يحتَمِلُ غرضًا آخرَ علاوةً على ذلكَ، فلا نبخسُ الطالبَ حَقَّهُ إذا كانت إجابته تحتملُ جانبًا من الصحَّةِ، وإنَّما يجب علينا أن نوضِّح المعاني له، وأن نعوِّدهُ على التأمُّل العميق في الأمثلة، والدِّقّةِ في تحديد أغراضها، لئلّا يعتاد على السطحية في إبداء الرأي، خصوصًا وأنَّه يتعامل – في الغالب – مع نصوص وأمثلة لأدباء لهم نَظَرٌ بَعيدٌ.

[1] امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، دار الكتب العلمية، بيروت–لبان، ط5، 1425هـ/2004م، ص119.

[2] ديوان ابن الرومي، ج2، 468.

[3] وَرَدَ هذا البيت في كتب البلاغة غير منسوب لشاعر بعينه، وقد ذكره "أبو الفتح العباسي" (ت 963) في كتابه معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ويبدو أنه من إنشائه.

[4] ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت، دار القرآن الكريم، ط4، 1981م، مجل2، ص 461.

[5] ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع، الأردن، دار النفائس، ط12، 2012م، ص 134.

[6] ينظر: صفوة التفاسير، مجل2، ص 137.

[7] ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع، ص 134.

[8] ينظر: جمال قاسم إبراهيم، البلاغة الميسرة، ص 151.

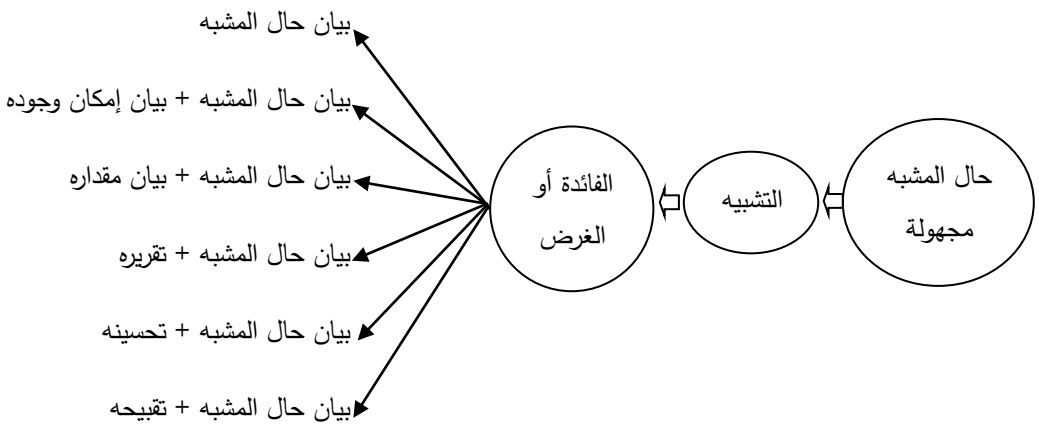

مخطط1: أغراض التشبيه عند الجهل بحال المُشَبَّه.

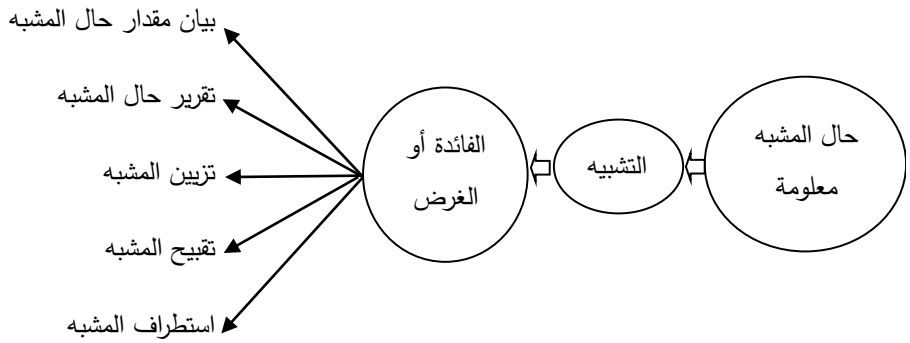

مخطط2: أغراض التشبيه عند العلم بحال المُشَبَّه.

2.4. التباس بيان حالِ المشبَّه ببيان مقداره:

فتشبيه العظام بالخيزران في اللُّيونة، والذي أورده "كرم البستاني" مثالًا على بيان حال المشبه، (البستاني) قد ذكره "عبده عبد العزيز قلقيلة" مع أمثلة بيان مقدار حال المشبه، وهو إلى بيان المقدار أقرب؛ لأنَّ بيانَ الحالِ قد سَبَقَ في قول الشاعر: (تَثَنَّت)، فالتَّثَنِّي قد بَيَّنَ الحالَ من اللّينِ.

وقول "الأعشى" (ت 629م) في وصف مِشية امرأة:

كـأنَّ مِشْيَتَهـا مِن بَيْتِ جـارتِهَا مَرُّ السَّحـابةِ لا رَيْثٌ ولا عَـجَلُ[1]

أتى به "بسيوني عبد الفتاح فيود" مثالًا لبيان حال المشبه (حال المِشية)، بينما ذَكَره "أحمد مصطفى المراغي" مثالاً على بيان مقدار حال المشبه، فهو يرى فيه بيانًا لمقدار تلك المِشية المتوسِّط؛ إذ ليس فيه تأنٍّ وليس فيه استعجالٌ.

3.4. التباس بيان مقدار المشبه بتقرير حاله:

فقول "مجنون ليلى" السابق:

فأصبحْتُ مِن لَيْلَى الغَـداةَ كَقابِضٍ عَلَى الماءِ خانَتْهُ فُرُوجُ الأَصـــابِعِ

[1] الأعشى ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تح: محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الفنون والثقافة والتراث، الدوحة–قطر، ط1، 2010م، ج1، ص 204.

ذَكَرَهُ "الخطيب القزويني" مثالاً على بيان مقدار المشبه، أما "عبد العزيز عتيق" فقد ذكره مع أمثلة تقرير حال المشبه في نفس المتَلَقِّي، والغرضان متفقان في هذا المثال بحيث يصعب ترجيح أحدهما على الآخر، فمن قال بالغرض الأول فهو مصيب، ومن قال بالغرض الثاني فهو على صواب كذلك. كما لو قلنا: إنَّ زُجاجَ المصابيحِ هَشٌّ كقُشورِ البَيْضِ. فهذا يفيد تقرير هشاشة ذلك الزُّجاج في نفس المتلقّي، ويفيد كذلك بيان مقدار هذه الهشاشة.

ومن الشواهد التي يلتبس فيها تقرير حال المشبه ببيان مقداره الآية التي يُشبه الله تعالى فيها الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله بالحبة التي أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبة،[1] وهو تشبيه لحال بركة جزائهم بحال الحبة التي كان نتاجها سبعمائة حبة،[2] وذلك ما يفيد الغرضين تقرير حال النماء والزيادة حين شبه المعنويّ بالحِسيّ، وكذلك مقدار تلك البركة حينما ذكر العدد، ويحتمل التشبيه هنا غرض التحسين كذلك، فمضاعفة الإنتاج وزيادة الأجر من الأمور المستحسنة.

4.4. التباس بيان مقدار المشبه بتقبيحه:

هناك أمثلة يلتبس فيها بيان مقدار المشبه بتقبيحه وذمّه، ومن ذلك التشبيه الوارد في القرآن الكريم للماء الذي يُغاث به أهل النار بالمهل؛ والمهل –كما يقول المفسرون – هو دُردِيّ الزيت، ووجه الشبه بين ذلك الماء والمهل هو السواد في اللون والشدَّة في الحرارة،[3] إذن فقد أفاد التشبيه هنا مقدار حرارة الماء الذي يشربه أهل النار، وأفاد تقبيح ذلك الماء وذَمِّهِ.

وكذلك في تشبيه الله تعالى للجنة التي أصابها البلاء فاحترقت بالصريم؛ والصريم هو الليل، أو الرماد كما ذكر المفسرون،[4] فيه بيان لمقدار سواد تلك الجنة، وفيه أيضا تشويهٌ لها؛ فبعد أن كانت خضراء ذات بهجة إذا بها تتحوَّلُ إلى رماد.

5.4. التباس بيان إمكان المشبه بتقرير حاله:

فقول "المتنبي" السابق:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلُ الهَوانُ عَلَيْهِ ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إيْلامُ[5]

والذي ذكره "عبد العزيز عتيق" في أمثلة بيان إمكان وجود المشبه، ذَكَرَهُ "أحمد مصطفى المراغي" ضمن أمثلة تقرير حال المشبه.

ويمكن أن نلحظ التباس بيان إمكان المشبه بتقرير حال المشبه كذلك في قول "ابن الرومي":

إذا غَمَرَ المَالُ البَخِيْلَ وَجَدْتَهُ يَـزِيْدُ بِهِ يَبساً وإنْ ظُنَّ يَرْطُبُ[6]

ولَيْسَ عَجِيْبٌ ذاكَ مِنْهُ فَإِنَّهُ إذا غَمَرَ المِاءُ الحِجارة تَصْلُبُ

فقد بَيَّن في هذين البيتين إمكان ازدياد البخيل بخلاً عند ازدياد مالِه، حين شبهه بازدياد الحجارة صلابة عند غمرها بالماء. وكذلك أفاد تقريراً لهذه الحال. ونحن نعلم أن هناك أنواعًا من الخرسانة تزدادُ قُوَّةً وصلابة حينما تُحيطُ بها المياهُ، وعليها تُبنى الجسور فوق مياه

---

[1] وهي الآية 261 من سورة البقرة.

[2] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984م، ج3، ص 41.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 308.

[4] ينظر: الزمخشري أبو القاسم، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط3، 1430هـ/2009م، ص1130. والبيضاوي أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الرشيد، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، مجل3، ص 433.

[5] ديوان المتنبّي، ص164.

[6] ديوان ابن الرومي، ج1، ص 89.

البحار والأنهار. وكون الماء يزيد الشيء صلابةً بدلًا من ترطيبه هذا من المفارقات التي أحسن الشاعر استخدامها لبيان أو تقرير حال البخيل الذي يزداد بُخلًا بازدياده غِنىً.

6.4. التباس بيان إمكان المشبه بتقبيحه وتشويهه:

قد يكون في التشبيه ما يبين إمكان حال المشبه وما يُشَوِّهُهُ ويُقَبِّحُهُ، كما في قول "ابن الرومي" يحذر أحد الناس من الظلم:

لَوْ عَلِمْتَ الخَفِيَّ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ جَامِعًا بَيْنَهُ وبَيْنَ البِغاءِ[1]

أَعْجَبَ النّاس ما وَعَيْتَ وقالوا: عَسَلٌ طَيِّبٌ خَبِيْثُ الوِعاءِ

فقد بَيّن إمكان اشتمال الخبيث على الطيب، حين شَبَّه من يجمع علومًا شتى وهو فاسد ظالم بالوِعاء الخَبيثِ الذي يحتوي العَسلَ. وفي ذلك تقبيحٌ للمُشَبَّهِ وتشويهٌ له. فالغَرَضانِ ثابتانِ هُنا.

7.4. التباس بيان إمكان حال المشبه بتحسينه:

قد يكون في التشبيه ما يُبَيّن إمكان حال المشبه وما يُحَسِّنه؛ كقول "المتنبي" يمدح "الحسين بن إسحاق التنوخي":

فَتَى كالسَّحابِ الجُونِ يُخْشى ويُرتَجَى يُرجَّى الحَيا مِنْها، وتُخْشَى الصَّواعِقُ[2]

ففي هذا البيت بيان لإمكان حال المشبه؛ وهو اجتماع رجائه والخشية منه، كما فيه مدح وتحسين له؛ إذ شُبِّه بالسَّحاب، وهو مما يُشَبَّهُ بِهِ غالبًا قصد المدح. وقد أحسن الشاعر اختيار هذا المشبه به الذي يجتمع فيه الخير والشَّرُ إذا تَراكَمَ وحَجَبَ السَّماءَ.

وفي قوله السابق:

فَإِنْ تَفُقِ الأَنامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزالِ

والذي أدرجه البلاغيون مع أمثلة بيان إمكان المشبَّه،[3] هو يحتمل غرض التحسين كذلك، إذ تمَّ فيه تشبيه الممدوحِ ضمنيًّا بالمِسك، وهو شيء مُستحسن.

8.4. التباس تقرير حال المشبه بتقبيحه:

التشبيهات التي تأتي لغرض تقرير حال المشبه قد يكون فيها كذلك تقبيح له؛ ففي تشبيه الله عز وجل حال آكلي الرِّبا حينما يقومون للعذاب بحال الذي يتخبَّطُه الشيطانُ من المِسِّ،[4] تقرير لحال هؤلاء، كما فيه تشويه لصورتهم، فلا شك أنَّ تخبُّطَ المصاب بالمسِّ من الأحوال الفظيعة والمنفِّرة.

وفي تشبيهه لمن يَحْنَثُ في يَمينِهِ بالتي تَنْقُضُ غَزْلَها فَتَحُلُّهُ بعد إبرامِهِ وإحكامه،[5] تقريرٌ لحال المشَبَّهِ الذي رَجَعَ في قَسَمِهِ وأبْطَلَهُ، وفيه كذلك تقبيح لهذا الفعل الذي لا يقوم به عن عمدٍ وإصرارٍ إلا السُّفهاء من الناس، الذين لا يُراعون العهد وحُرُماتِ الأَيْمانِ.

---

[1] المصدر نفسه، ج1، ص 51.

[2] ديوان المتنبّي، ص77.

[3] ينظر: السكاكي أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1408هـ/1987م، ص 341.

[4] ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 81.

[5] ينظر: تفسير الكشاف، ص 582.

وفي تشبيه الله تعالى لليهود الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يعملوا بها بالحمار الذي يحمل أسفاراً تقريرٌ لحالهم من حرمان الانتفاع بما هو غاية في النفع مع المشقَّة في حمله،[1] كما فيه تقبيح وذمٌّ لليهود، إذ التشبيه بالحمير – عادة – لا يأتي إلا للذمّ والتقبيح.

9.4. التباس تقرير حال المشبه بتحسينه:

من الوارد أن تأتي تشبيهات تفيد تقرير حال المشبه وتفيد كذلك تحسينًا له، ففي تشبيه الله تعالى للمجاهدين الذين يقاتلون في سبيله صفًّا بالبنيان المرصوص في ذلك تقرير لحالهم من التضامّ والتماسك دون فُرجة بينهم أو خلل،[2] كما في ذلك مدح لهم فالتراص والتعاضد من الأمور المستحسنة بين أفراد المجتمع.

وفي تشبيهه للزوجين باللباس لبعضهما تشبيها بليغاً وذلك لكثرة اختلاطهما وشدّة الملابسة بينهما، أو لأن كلًّا منهما سِترٌ لصاحبه عن الوقوع في الفاحشة،[3] في ذلك تقرير لحالهما من الملازمة والستر، وفيه تحسين لحالهما فاللباس زينة للإنسان وبه يتحلّى ويتجَمَّل.

5. إمكانية إضافة أغراض أخرى:

عَلِمنا أَنَّ غاية ما ذكره البلاغيون للتشبيه – من جانب المشَبَّهِ – سبعة أغراض، فهل هذا يعني أنه لا توجد أغراض غيرها؟ أو أنه لا يمكن إضافة أغراض أخرى؟

الذي أراه أنّ البلاغيين كانوا على أُسُسٍ من الدِّقة بحيث لا يُتَصوَّر أن يأتي لغويٌ بَعدهم بِغَرضٍ جديد يخرج عن إطار الأغراض والفوائد التي وضعوها، فما مِن تَشبيه كانَ أو سيكون إلا وهو يرتبط لا محالة – على الأقل – بواحِد منها. ورأيي هذا لا ينفي احتمال أن يتمَّ إيجاد أغراضٍ أخرى تكون أدقَّ وإن لم تتميّز عن تلك الأغراض السابقة تَمَيُّزًا تامّا.

وأنا من جانبي أرى وجودَ غَرَضٍ مُهِمٍّ لم يذكره البلاغيون في كُتُبهم مع أغراض وفوائد التشبيه ألا وهو: (مساواة المشَبَّهِ بالمشَبَّهِ به في الحُكْمِ) والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

– إذا قيلَ: إنَّ مَيْتة السَّمَكِ كَميتَةِ الجَراد. فهذا يعني المساواة بينهما في الحكم وهو (الإباحة)، فَهُما مِمّا يُستثنى من الميتة المحرَّمةِ في الشريعة الإسلامية.

– إذا قيل: إن الكَبِدَ كالطِّحالِ. فهذا يعني المساواة بينهما كذلك في حكم الإباحة؛ فهما من الدم المستثنى من المحرَّم أكله في الشرع.

– القول بأنَّ المخدِّرات كالخَمر قد يعني بيان مقدار الضرر الحاصل من جهة، لكنه يعني المساواة بينهما في حكم التحريم.

– القول بأنَّ الزكاة كالصلاةِ يفيد المساواة بينهما في حكم الوجوب والرُّكنية للدين الإسلاميّ.

– حينما يُقالُ: إنَّ التَّسميع في الصلاة كالتّكبير فيها، يعني ذلك أنهما متساويان في كونهما سُنَّة مؤكَّدة من سُنَنِ الصلاةِ.

– حينما يقال: إنَّ أَكْلَ مال اليتيم كالسرقة، ذلك يعنى أنَّهما في حكم التَّحريم سواء.

– قول الفقهاء بأن مبالغة الصائم في المضمضة كمبالغته في الاستنشاق يفيد مساواتهما في حكم الكراهة.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، ص 349.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 1102.

[3] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مجل2، ص 169.

– وقولهم: إن التسبيح في الرُّكوع كالتسبيح في السجود يفيد المساواة بينهما من حيث الحكم بأنهما من المندوبات في الصلاة.
هذا، ولَسْتُ أدري إن كان المهتمون بالحقل البلاغيّ العربي يوافقونني في إضافة هذا الغَرَضِ أم لا، وكذلك لَسْتُ أزعم أنّني أوّلُ من تَفَطَّنَ إلى هذا الغرض وإن لم أجده في كتب السابقين، فقد يكون منهم من عَرَفَهُ وأهمله لِسَبَبٍ أو لآخر لا نَعلَمُهُ.

6. خاتمة:

بعد الاطلاع على موضوع التشبيه وأغراضه والأمثلة التي وُضِعَت لها في كتب البلاغيين أمكن استخلاص النتائج الآتية:
أ– التشبيه لا يَرِدُ إلا لِغَرَضٍ يقصده المستخدم من خلاله، وهذا الغرض غالبًا ما يهتدي إليه المتلقي لا سيما في التشبيهات البسيطة، التي يكون وَجْهُ الشَّبَهِ فيها ظاهرًا بين طَرَفي التشبيه. وقد لا يهتدي المتلقي إلى الغرض الذي يقصده مُنْشِئُ التشبيه، لاسيما إن كان وَجْهُ الشَّبَه بعيد التحَقُّق في أَحَدِ الطَّرفين. وسواء عُلِمَ الغرض المقصود أو لم يُعْلَم، فإنَّ التشبيه يحمل فائدةً للمُتَلَقِّي.
ب– تَحَرَّى البلاغيون الدِّقَّةَ في تحديد أغراض التشبيه بحيث لا يَلْتَبِسُ أَحَدُها بالآخر؛ فإذا قيل: إنَّ الغرض من تشبيه ما هو بيان مقدار حال المشبَّه فإنَّه لا يكاد يَحْتِمل غَرَضًا آخر على سبيل الدِّقَّة، لكن ذلك لم يمنع من ورود أمثلة تشبيهية تحتمل غرضًا وتحتمل غرضًا آخر غَيْرَه.
ج– أوَّلُ غرض يذكره البلاغيون للتشبيه هو بيان حال المشبَّه، وهو غرضٌ ثابتٌ في جميع التشبيهات، فغيره من الأغراض يَتضمَّنه؛ فإذا كان الغرض تقرير حال المشبه أو بيان مقداره لَزِم أن يكون فيه بيان للحال ابتداءً، وكذلك التحسين والتشويه فيهما بيانٌ لحالِ وصِفَة المشبَّه.
د– من الوارد أن يلتبس تحسين المشبه أو تقبيحه ببيان مقدار حاله، إذا كانت في ذلك التحسين أو التقبيح مبالَغة. وكذلك من الممكن تداخل تقرير حال المشبه مع بيان إمكان وجوده؛ فالتشبيهات التي تأتي لغرض بيان إمكان وجود المشبه أو بيان إمكان حاله غالبًا ما يكون فيها تقرير لحاله إذ تُلْحِقُهُ بما هو ثابتٌ مُقَرَّر عند المتلقي.
هـ– كل الأغراض يُحْتَمَلُ أن يتداخل أحدها مع الآخر، غير غَرَضي التحسين والتهجين، فلا يُمكن أن يتداخلا في تشبيهٍ واحد، أو يلتبس أحدهما بالآخر؛ لأنَّهما في الأصل متناقضان، إلا إذا كان المنشئ للتشبيه الذي ظاهره التحسين – مثلاً – يقوله على سبيل التَّهَكُّم، وذلك ما ليس في متناول جميع المتلقين أن يُدْرِكَهُ.
و– الأغراض التي حددها البلاغيون ليست توقيفية، بل يمكن أن يُزاد عليها بما يُناسب أمثلة غير التي ذكروها.
وبناء على هذه النتائج المتوصَّل إليها يمكن الخروج بتَوصيتين:
الأولى: مفادها أنَّ الأستاذ المدَرِّس لمادَّة البلاغة العربية ينبغي أن يكون مَرِنًا في تقييمه لإجابات التلاميذ أو الطلبة إذا كان سؤاله عن الغرض من التشبيه، وألّا يَعْتَبِرَ الإجابة النموذجية التي أعدَّها سَلَفًا معيارًا ثابتًا يَحكُمُ به على ما خالفها بالخطأ؛ فقد تكون إجابة الطالب محتملة للصواب حتى وإن خالفت رَأيَ الأستاذ، والبلاغة ليست من العلوم المعيارية، فبابُ الاجتهادِ فيها واسِع.
الثانية: أنَّ الباحثين المحدَثينَ المشتغلين بالحقل البلاغي لا ينبغي أن يقفوا في الأغراض البلاغية عند الحدِّ الوارد عند السابقين، بل عليهم أن يجتهدوا في إيجاد أغراض أخرى مما تسمح به مرونة البلاغة العربية. فكما خَدَمَ القدماء لغتنا وأثروا مكتبات أُمَّتِنا بتآليفهم القيِّمة، علينا نحن أيضا أن نبذل ما في وسعنا لجعل هذه اللغة العزيزة مواكبة للحاضر العلميّ والأدبيّ والثقافيّ.

7. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص.

كتب التفسير:

1- البيضاوي أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الرشيد، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

2- الزمخشري أبو القاسم، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط3، 1430هـ/2009م.

3- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984م.

4- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981م.

المعاجم:

5- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، د ت.

6- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1979م.

كتب البلاغة والأدب:

7- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – لبنان، د ط، 2017م.

8- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، مؤسسة المختار، القاهرة، ط3، 2011م.

9- الثعالبي أبو منصور، يتيمة الدهر، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1983/1403.

10- جمال إبراهيم قاسم، البلاغة الميسرة، القاهرة، دار ابن الجوزي، د ط، 2012م.

11- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، د ط، 2012م.

12- السكاكي أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1408هـ/1987م.

13- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، د ت.

14- طالب محمد إسماعيل، علوم البلاغة التطبيقية، دار كنوز المعرفة، عمان – الأردن، د ط، 2012م.

15- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1985م.

16- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المدني، جدة، د ط، د ت.

17- عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 2000م.

18- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع، دار النفائس، الأردن، ط12، 2012م.

19- كرم البستاني، البيان، مكتبة صادر، بيروت، د ط، د ت.

20- ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، ط1، 1389هـ/1969م.

الدواوين:

21- الأعشى ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، تح: محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة- قطر، ط1، 2010م.
22- امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، دار الكتب العلمية، بيروت-لبان، ط5، 1425هـ/2004م.
23- البحتري، ديوان البحتري، حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط3، د ت.
24- بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، تح: السيد بدر الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت-لبنان، د ط، 1981م.
25- ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 1423هـ/2002م.
26- الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م.
27- عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1410هـ/1990م.
28- عنترة، ديوان عنتر، مطبعة الآداب، بيروت، 1893م.
29- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1377هـ/1958م.
30- المتنبّي أبي الطيب، ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1403هـ/1983م.
31- النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، د ت.

References:

al-Bayḍāwī Abū Sa‘īd ‘Abd Allāh ibn ‘Umar, Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta’wīl, Dār al-Rashīd, Bayrūt, Ṭ1, 1421h / 2000M.
2-al-Zamakhsharī Abū al-Qāsim, tafsīr al-Kashshāf, Dār al-Ma‘rifah, byrwt-Lubnān, ṭ3, 1430h / 2009M.
3-Muḥammad al-Ṭāhir ibn ‘Āshūr, tafsīr al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, Tūnis, D Ṭ, 1984m.
Muḥammad ‘Alī al-Ṣābūnī, Ṣafwat al-tafāsīr, Dār al-Qur’ān al-Karīm, Bayrūt, ṭ4, 1981M.
- al-Sharīf al-Jurjānī, Mu‘jam alt‘ryfāt, tḥ : Muḥammad Ṣiddīq al-Munshāwī, Dār al-Faḍīlah, al-Qāhirah, D Ṭ, D t.
6-Ibn Fāris, Mu‘jam Maqāyīs al-lughah, tḥ : ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Fikr, D Ṭ, 1979m.70-
- Aḥmad Muṣṭafá al-Marāghī, ‘ulūm al-balāghah, al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, Ṣaydā – Bayrūt – Lubnān, D Ṭ, 2017m.
8-Basyūnī ‘Abd al-Fattāḥ fywd, ‘ilm al-Bayān, Mu’assasat al-Mukhtār, al-Qāhirah, ṭ3, 2011M.
9-al-Tha‘ālibī Abū Manṣūr, Yatīmat al-dahr, tḥ : Mufīd Qumayḥah, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt-Lubnān, Ṭ1, 1403/1983.
Jamāl Ibrāhīm Qāsim, al-balāghah al-muyassarah, al-Qāhirah, Dār Ibn al-Jawzī, D Ṭ, 2012m.
11-al-Khaṭīb al-Qazwīnī, al-Īḍāḥ fī ‘ulūm al-balāghah, tḥ : Muḥammad ‘Abd al-Qādir al-Fāḍilī, al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, Bayrūt – Lubnān, D Ṭ, 2012m.
al-Sakkākī Abū Ya‘qūb Yūsuf, Miftāḥ al-‘Ulūm, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt-Lubnān, ṭ2, 1408h / 1987m.
13-al-Sayyid Aḥmad al-Hāshimī, Jawāhir al-balāghah, al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, Bayrūt, D Ṭ, D t.
14-Ṭālib Muḥammad Ismā‘īl, ‘ulūm al-balāghah al-taṭbīqīyah, Dār Kunūz al-Ma‘rifah, ‘Ammān – al-Urdun, D Ṭ, 2012m.
‘Abd al-‘Azīz ‘Atīq, ‘ilm al-Bayān, Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah, Bayrūt, D Ṭ, 1985m.
16-‘Abd al-Qāhir al-Jurjānī, Asrār al-balāghah, Dār al-madanī, Jiddah, D Ṭ, D t.
17-‘Abduh ‘Abd al-‘Azīz Qalqīlah, al-balāghah al-iṣṭilāḥīyah, Dār al-Fikr al-‘Arabī, al-Qāhirah, ṭ4, 2000M.
Faḍl Ḥasan ‘Abbās, al-balāghah funūnuhā w’fnānhā – ‘ilm al-Bayān wa-al-badī‘, Dār al-Nafā’is, al-Urdun, ṭ12, 2012m.
19-Karam al-Bustānī, al-Bayān, Maktabat Ṣādir, Bayrūt, D Ṭ, D t.
20-Ibn Ma‘ṣūm, Anwār al-Rabī‘ fī anwā‘ al-Badī‘, tḥ : Shākir Hādī Shukr, Maṭba‘at al-Nu‘mān, al-Najaf, Ṭ1, 1389h / 1969m.
- al-A‘shá Maymūn ibn Qays, Dīwān al-A‘shá al-kabīr, tḥ : Maḥmūd Ibrāhīm Muḥammad al-Raḍwānī, Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Turāth, aldwḥt-qṭr, Ṭ1, 2010m.
22-Imru’ al-Qays, Dīwān Imru’ al-Qays, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, byrwt-lbān, ṭ5, 1425h / 2004m.
al-Buḥturī, Dīwān al-Buḥturī, Ḥasan Kāmil al-Ṣayrafī, Dār al-Ma‘ārif, al-Qāhirah, ṭ3, D t.

24-Bashshār ibn Burd, Dīwān Bashshār ibn Burd, tḥ : al-Sayyid Badr al-Dīn al-ʻAlawī, Dār al-Thaqāfah, Bayrūt-Lubnān, D Ṭ, 1981M.
25-Ibn al-Rūmī, Dīwān Ibn al-Rūmī, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt-Lubnān, ṭ3, 1423h / 2002M.
al-Sharīf al-Raḍī, Dīwān al-Sharīf al-Raḍī, Dār al-Jīl, Bayrūt, Ṭ1, 1415h / 1995m.
27-ʻAdī ibn al-Riqāʻ, Dīwān ʻAdī ibn al-Riqāʻ al-ʻĀmilī, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt-Lubnān, Ṭ1, 1410h / 1990m.
28-ʻAntarah, Dīwān ʻAntar, Maṭbaʻat al-Ādāb, Bayrūt, 1893m.
- Ibn Qutaybah, al-shiʻr wa-al-shuʻarā', tḥ : Aḥmad Muḥammad Shākir, Dār al-Maʻārif, al-Qāhirah, ṭ2, 1377h / 1958m.
30-almtnbby Abī al-Ṭayyib, Dīwān almtnbby, Dār Bayrūt lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr, Bayrūt, D Ṭ, 1403h / 1983m.
31-al-Nābighah al-Dhubyānī, Dīwān al-Nābighah al-Dhubyānī, tḥ : Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār al-Maʻārif, al-Qāhirah, ṭ2, D t.